الفرع الثاني
انواع النظام الدكتاتوري

على الرغم من أن النظام الدكتاتوري قائم على اساس حكم الفرد وسطوته الا أن الفقه الدستوري يميز بين نوعين استنادا الى مدى اعتماد النظام ايديولوجية معينة من عدمه فيرون وجود دكتاتورية مذهبية (أيديولوجية) وأخرى غير أيديولوجية. وهناك من يميز بين دكتاتورية الفرد ودكتاتورية الطبقة العاملة حيث تذهب النظرية الماركسية الى اقامة نظام حكم يقوم على اساس دكتاتورية الطبقة العاملة (البروليتاريا)حيث تقوم الثورة العمالية فتطيح بأجهزة الدولة الرأسمالية وتسحقها وتقيم دولة دكتاتورية البروليتاريا والتي تسعى الى اقامة مجتمع بغير طبقات(١).

وفي الحقيقة لم نجد في التطبيق طبقة تحكم. وأنما كان مآل الأنظمة التي تبنت هذه النظرية الجنوح نحو دكتاتورية الحزب الواحد ثم الفرد الواحد(زعيم الحزب) ولذلك نرى أن هذا النوع من الدكتاتورية لا يختلف عن دكتاتورية الفرد كثيرا ومن ثم يصنف ضمن الدكتاتورية المذهبية.

أولا:الدكتاتورية المذهبية:

يعتمد هذا النوع من الدكتاتورية على ايد يو لوجية متكاملة تتناول كل ما يتعلق بالنظام السياسي والأجتماعي.وهي في الغالب انظمة شمولية تخالف انظمة الديمقراطية التقليدية والأيد يولوجية التحررية. التي تقوم على اساس احترام حقوق الأفراد وحرياتهم حيث يتوجب على الدولة عدم التدخل في شؤون الأفراد الا عند الضرورة لأن للأفراد حقوق لا تستطيع الدولة الأنتقاص منها لأنها سابقة على قيام الدولة بل واعلى من الدولة. في حين نجد ان الأنظمة الدكتاتورية ترى عكس ذلك اذ بأمكان الدولة ان تتدخل في كل نواحي الحياة.ويبرر اصحاب النظرية الشمولية ذلك بأن الأفراد غير متساوين بطبيعتهم وأن المجتمع يتألف من جماعات وليس من افراد وبالتالي يجب الأهتمام بالعائلة والنقابات والجمعيات المهنية. ولعل من اهم هذه النظم الشمولية النظام النازي في المانيا ابان حكم هتلر.والنظام الفاشيستي في ايطاليا ابان حكم موسيليني.فضلا عن النظام الذي اقيم في الأتحاد السوفيتي السابق ودول المنظومة الأشتراكية السابقة والتي اصطلح على تسميتها بالديمقراطيات الشعبية.والجدير بالملاحظه ان الأنظمة الشمولية المذكورة تلتقي عند خاصية رفض فكرة الدولة الحارسة وتأييد شمولية الدولة لكل جوانب الحياة الا انها تتباين اشد التباين في الأساس الفلسفي الذي تقوم عليه.فالنظام النازي كان متأثرا بفلسفة(هيجل)و نظرته للدولة والتي ترفع من القيمة الروحية والمعنوية لها فهم يرون فيها القيمة المطلقة الوحيدة في الحياة الأنسانية.وهي ارادة الله على الأرض. والحقيقة الوحيدة الشاملة غير المحددة.والقانون ليس الا التعبير الموضوعي عن روح الدولة ومن ثم فأن طاعة القانون هي ذات الحرية لأن هذا التصور الخالد المطلق للدولة يرفض قيام تناقض بين الضرورة والحرية(٢).

---

١ د.يحيى الجمل.الأنظمة السياسية المعاصرة.دار النهضةالعربية.بيروت.١٩٦٩. ص٢٥٠ وما بعدها.

٢ history of philosophy:Hegel

اما بالنسبة لنظرة النازيين الى الزعيم(هتلر)فيرون انه لا يستمد سلطته من الشعب بل يستمدها من شخصيته.ومن صفاته الأساسية كزعيم.والسلطة في نظر (النازيين) ليست حقا للشعب. والزعيم لا يتولى السلطة بأعتباره(وكيلا او نائبا عن الشعب او ممثلا له) انما يتولاها استنادا لصفاته الشخصية(١).ويعد بالتالي التشخيص الكامل للأمة.بل هو الأمة نفسها(٢).وأرادته أرادتها وقوله قولها والأمة عندما تقدسه وتطيعه انما تقدس وتطيع نفسها. ويلاحظ ان النظرية النازية قامت كذلك بأعتناق نظرية اخرى تتعلق بسمو بعض الأجناس على غيرها.ومن ثم القول بفكرة الجنس الممتاز.فاذا كان الأفراد غير متساوين بطبيعتهم.وهناك افراد يتفوقون على الآخرين كذلك الحال بالنسبة للأمم والأجناس.فلا بد من وجود جنس ممتاز ومن حقه ان يسود الأجناس الأخرى.ويرون ان الجنس الآري ارقى الأجناس. فهو جنس عبقري ومنشئ للحضارات وقد اختاره الله للسيطرة على العالم من اجل النهوض به.وقد قام هتلر باشعال فتيل الحرب العالمية الثانية لغرض هيمنة الجنس الآري على الأمم الأخرى.الا ان النتيجة كانت هزيمة هتلر وتقسيم المانيا الى دولتين غربية وشرقية حتى عام ١٩٩٠ عندما اعيد توحيدها بعد سقوط جدار برلين. والحقيقة ان نظرية الجنس الممتاز هي نظرية خاطئة. اذ لا يجوز لجنس او شعب ان يدعي نقائه نظرا لما حدث من اختلاط بين الأجناس المختلفة. فضلا عن عوامل أخرى لعل اهمها الغزوات والرحلات(٣)وقد استخدم هتلر هذه النظرية لخدمة سياسته واهدافه من خلال الدعاية والأعلام المظلل.حيث كان يرى ان الجماهير تميل الى تصديق الأكاذيب الضخمة اكثر من ميلها الى تصديق الأكاذيب الصغيرة التي تألفها وتعتادها.ومن ثم فأن الدعاية يجب ان تعتمد على الأكاذيب الضخمة للتأثير على الجماهير(٤).

اما بالنسبة للنظرية الماركيسية التي اعتمدتها النظم الشيوعية التي قامت في روسيا ودول اوربا الشرقية.فأن اساسها النظري يقوم على الفلسفة المادية .والتي ترى ان المادة سابقة على الفكرة وانها ازلية بمعنى انها غير مخلوقة. وهذا الاتجاه يناقض تيار الفلسفة المثالية الذي يؤمن بأن الفكرة سابقة على المادة وموجدة لها. ويتبنى الفكر الماركيسي المادية الجدلية(٥).حيث يرى ماركس ان المادة هي الأصل في الوجود وهي السبب الموجد لكل موجود. اما الأفكار فهي ليست الا انعكاسا للمادة وهذا مناقض لما يراه الفيلسوف هيجل.وتأسيسا على المادية الجدلية يفسر الماركيسيون التطور البشري.ويرون ان الانتاج الأقتصادي وما يرتبه من تنظيم اجتماعي في كل فترة من فترات التاريخ يكونان اساساً للتاريخ السياسي والفكري لتلك الفترة.ومن ثم فمنذ اختفاء الملكية الشائعة للارض في المجتمعات الاولى والتاريخ كله لا يعدو ان يكون في الحقيقة تاريخا للصراع بين طبقات مستغلة واخرى مستغلة.صراع بين ظالمين ومظلومين.ويخلصون الى ان الصراع الطبقي وصل الى مرحلة ليس بأستطاعة الطبقة

مشار اليه في كتاب د.يحيى الجمل.المصدر السابق.ص٢٣٠

١ د.عبد الحميد متولي.المصدر السابق.ص٤٧٧

٢ د.يحيى الجمل.المصدر السابق.ص٢٣١.

٣ د.عبد الحميد متولي.المصدر السابق.ص٤٧٩.

٤ د.يحيى الجمل.المصدر السابق.٢٣٩

٥ راجع في تفاصيل المادية الجدلية والمادية التاريخية.د.محمود عثمان. الفكر المادي الحديث وموقف الأسلام منه.مكتبة الأنجلوا المصرية.١٩٧٧.ص٢٥١ وما بعدها.

المستغلة(البروليتاليا)ان تتحرر من الطبقة التي تستغلها وتضطهدها(البرجوازية)دون ان تحرر في الوقت ذاته والى الأبد المجتمع بأكمله من الاستغلال والإضطهاد وصراع الطبقات[1] ويرون ان نجاح الطبقة العاملة في ذلك سيؤدي الى قيام دكتاتورية البروليتاريا (دكتاتورية الطبقة الواحدة)وهذه المرحلة ليست مؤبدة في نظر الماركيسيين.وانما هي مرحلة انتقالية حتى الوصول الى المرحلة الشيوعية من خلال انحلال الدولة وانعدام الطبقات في المجتمع.ويرى الماركيسيون ان دكتاتورية البروليتاريا يمكن ان توصف بديمقراطية البروليتاريا.

وهذه الديمقراطية شمولية حيث ترى ان الجماعة فوق الفرد.ومن ثم لا حدود او قيود على سلطة هذه الطبقة.ويبدو لنا ان النظرية الماركيسية في جوانبها الأقتصادية والسياسية بعيدة عن الواقع.وان الأنظمة السياسية التي ادعت الأخذ بها لم تستطع نقلها الى حيز التطبيق[2].لأن هذه النظرية اقرب الى الخيال من الواقع في كثير من طروحاتها.اذ من الصعب تطبيق نبوءة ماركس بزوال الدولة بناءً على ضرورة زوال الطبقات التي تقترن بها.حيث لاحظنا فشل الأنظمة التي اعتنقت هذا المذهب اقتصاديا وسياسيا مما ادى الى انهيارها في عام ١٩٩٠ ومن ثم تفكك الأتحاد السوفيتي السابق عام ١٩٩١.وسنحاول التركيز على تجربة النظام السياسي في الأتحاد السوفيتي السابق عند دراستنا للأحزاب السياسية.

ثانيا:الدكتاتورية غير المذهبية[3]:-

تتسم هذه الدكتاتورية بسمة الواقعية لأنها لا تنتسب لمذهب معين من المذاهب التي سبق ذكرها.وانما تقوم على اساس استحواذ فرد على السلطة بطريق القوة والعنف ويطلق عليها البعض(الدكتاتورية القيصرية) نسبة الى الدكتاتورية التي اقامها نابليون بونابرت في فرنسا سنة١٧٩٩ . و النظام الدكتاتوري الذي اقامه لويس نابليون سنة ١٨٥٢.وقد وجد هذا النظام امتدادا له في بعض الدول الأوربية بين عامي(١٩٢٥-١٩٣٥).كبولندا.يوغسلافيا.رومانيا و كذلك في الكثير من دول العالم الثالث(امريكا الجنوبية.افريقيا.آسيا)وذلك على اثر الأنقلابات العسكرية التي حدثت في كثير منها حيث يهيمن شخص واحد على مقاليد السلطة و يدعي انه يستمد شرعيته من الشعب وليس من ذاته مثلما هو حال اصحاب الدكتاتورية المذهبية.

ويرى البعض ان هذه النظم تتسم عند قيامها بالشرعية الثورية.وهي مرحلة انتقال الى الشرعية الدستورية.أي العودة الى المؤسسات الدستورية بعد استقرار النظام السياسي[4]. ويرون انها تتولى السلطة مؤقتا لحين انتخاب جمعية تأسيسية تقوم بمهمة اقامة دستور للبلاد.ألا ان الواقع لا يؤيد هذا الأتجاه.حيث ان المؤسسات التي توجدها السلطة هي مؤسسات دستورية بالشكل فقط دون الموضوع.اذ يبقى الحاكم الفرد مهيمنا على السلطة مع سلوكه سبلا يوحي من خلالها بأنه مختار من الشعب كطريقة الأستفتاء الشخصي المتبعة في

---

١ د.فؤاد العطار.النظم السياسية والقانون الدستوري.دار النهظة العربية.القاهرة. ١٩٧٤.ص٤٣١.

٢ حبث يلاحظ ان(لينين)الذي كان مؤمنا بفكرة ماركس اصطدم بالتطبيق.فبدل رأيه وقال(ان عقل الأنسان لا يعكس العالم الواقعي فحسب بل يخلقه ايضا).راجع في ذلك.د.محمود عثمان.المصدر السابق.ص٢٨٥.

٣ د.عبد الحميد متولي.المصد السابق.ص٥٠٣.

٤ راجع في تفاصيل ذلك.د.عبد الحميد متولي.المصدر السابق.ص٥٤.

بعض دول العالم الثالث.فضلا عن ذلك ان معظم النظم الدكتاتورية التي تبرقعت ببرقع الثورية لم تشرع الدساتير التي وضعتها عن طريق جمعيات تأسيسية منتخبة، وانما عن طريق لجان فنية يملي عليها الحاكم ما يشاء[1].ويلاحظ ان هذه النظم تفتقر الى الأطار النظري بغية الاسترشاد به من قبل قادتها ولذلك يلاحظ انها تعتمد الأطار التجريبي و وجهة نظر الدكتاتور.والذي كثيرا ما يلجأ الى العدول عن اراءه بعد ثبات فشلها وبعد تكبيد الأمة خسائر فادحة.

الفرع الثالث
خصائص النظام الدكتاتوري

قبل ان نتناول خصائص هذا النظام لا بد من الأشارة الى العوامل التي تؤدي الى ظهوره. حيث يرى البعض من الفقه بوجود علامات واسباب تنبئ عن قرب ظهور النظام الدكتاتوري[2]،كحالة اضطرابات داخلية.او ازمات. سياسية ، اقتصادية. او هزيمة في الحرب. ويمثلون لذلك بما حدث في فرنسا من حالة فوضى وفساد سبقت وصول نابليون الى الحكم.وكذلك هزيمة روسيا في الحرب العالمية الأولى١٩١٤.وأن حالة البؤس والفقر هي التي اوصلت الشيوعيين الى السلطة عام ١٩١٧.وفي ايطاليا كان للأزمة الأقتصادية والفوضى الأجتماعية دورا مهما في وصول النظام الفاشستي للحكم بزعامة(موسوليني)١٩٢٢.اما في المانيا فكان للهزيمة المذلة التي منيت بها في الحرب العالمية الأولى وللقيود التي فرضت عليها بموجب معاهدة فرساي . والتدهور الأقتصادي اثراً كبيرا في وصول هتلر الى السلطة عام١٩٣٣.

ويرى الدكتور عبد الحميد متولي ان من اسباب ظهور النظام الدكتاتوري عدم النضج السياسي لبعض المجتمعات و فشلها في تطبيق النظم السياسية التي اقتبستها من بعض الدول العريقة في مباشرة الديمقراطية.مما جعلها تسيء استعمال الحرية.وان اساءة استعمال الحرية يمهد الطريق لقيام الأنظمة الدكتاتورية[3].

ونعتقد ان هذه الصور المشوهة للتطبيق الديمقراطي موجودة في كثير من دول العالم الثالث.حيث تدعي بعض النظم أنها(برلمانية).الا ان التطبيق العملي والواقع يناقض ذلك.حيث يهيمن رئيس الدولة على كل المؤسسات.ونفس الشيء ينطبق على البعض الآخر الذي يدعي أن نظامه(رئاسي)حيث يلاحظ طغيان شخصية الرئيس(الدكتاتور)على السلطات الأخرى.اذ تتضخم سلطاته لتشمل الهيمنة على زمام الأمور في البلاد.فضلا عن تمسكه بكرسي الحكم حتى الموت او ازاحته عن السلطة عن طريق القوة والعنف.

---

١ مثال ذلك انظر طريقة وضع دستور سنة ١٩٥٦ المصري.في مؤلف د.ثروت بدوي.ثورة٢٣ يوليو وتطور الفكر الثوري في مصر،دار النهضة العربية.١٩٧٠ ، ص٢٣٥ وما بعدها.وكذلك طريقة وضع دساتير العراق لسنة١٩٦٤و١٩٧٠. في كتاب د.حميد الساعدي.مبادئ القانون الدستوري.دار الحكمة للطباعة. الموصل ١٩٩٠.ص١٧٨.ص١٩٩.

٢ راجع د.محمد كامل ليلة.المصدر السابق.ص٥٠٤وما بعدها.د.عبد الحميد متولي.المصدر السابق.ص٤٧٠.

٣ د.عبد الحميد متولي.المصدر السابق.ص٤٧١.

اما بالنسبة لخصائص النظام الدكتاتوري فيمكن اجمالها بالآتي:-

١-استخدام اسلوب العنف والقوة للأستيلاء على السلطة والأستمرار فيها.وعدم الأكتراث بالوسائل الدستورية المشروعة والمعروفة في النظام الديمقراطي التقليدي.حيث يرى الماركيسيون مثلا ان المهمة الأساسية لدولة البروليتاريا هي سحق النظام القديم تماما.وسحق كل بقايا المقاومة الرأسمالية وجيوبها. وذلك للتمكين للمجتمع الأشتراكي وبناءه بناءً سليما[١].وكذلك نجد موسوليني يعبر عن ذلك بشكل واضح بقوله((ليست ارادة الشعب هي الوسيلة للحكم ولكن الوسيلة تكمن في القوة التي تعتبر اساس القانون وهي التي تفرض القانون))[٢]. ومن اجل استمرار النظم الدكتاتورية في السلطة يلاحظ استخدامها لأبشع وسائل القهر والتعذيب الوحشية ضد المعارضين للنظام.فضلا عن اشاعة الخوف والرعب في نفوس المواطنين.بواسطة اجهزتها القمعية العلنية والسرية التي تعتمد عليها. وقد استخدم هذا الأسلوب بشكل فض في المانيا النازية والأتحاد السوفيتي السابق.وبعض الدكتاتوريات في دول العالم الثالث.

٢-شخصنة السلطة وتركيزها[٣]حيث يقوم هذا النظام على فردية السلطة.اذ تقترن السلطة بالدكتاتور(الفرد)بصرف النظر عن الصفة الرسمية التي تطلق عليه (القائد.الزعيم). واساس شرعية سلطته تعود الى القوة والكفاءة الشخصية ومؤازرة انصاره.اذ لا يستمدها من الشعب.ومن ثم تتركز كل السلطات بيد الدكتاتور.اما الهيئات الأخرى حتى وان وجدت فهي هيئات شكلية مهمتها التأييد المطلق للدكتاتور.ومن ثم تنعدم خاصية الرقابة والمسؤولية المعروفة في النظم الديمقراطية.لأن الدكتاتور غير مسؤول امام احد.وهو مسؤول قبل نفسه فقط. مما يؤدي الى ضعف الرقابة السياسية والقضائية او انعدامها على اعمال السلطة حيث يتم اللجوء الى نظرية الضرورة او نظرية اعمال السيادة.او تحصين اعمال السلطة ومنع الطعن فيها امام الجهات القضائية[٤].

٣-نظام مؤقت:يتسم النظام الدكتاتوري بالتأقيت.لأنه قائم على اساس القوة.واستمراره مقترن بثبات تلك القوة فاذا خفت او ضعفت فمآله الى الزوال لأنه نظام استثنائي.ولا يمكن ان يستقر ويدوم. وهذا ما لوحظ في معظم النظم الدكتاتورية التي ظهرت في القرن العشرين بدءا بالنظام الفاشستي وانتهاءا بالنظام الماركيسي في الأتحاد السوفيتي السابق.

---

١ د.يحيى الجمل.المصدر السابق.ص٢٢٥.مع الأشارة الى ان هناك حالات نادرة يأتي فيها الدكتاتور الى السلطة عن طريق الوسائل المشروعة ثم ينقلب عليها كما هو حال هتلر في المانيا.

٢ د.محمد كامل ليلة.المصدر السابق.ص٥٠٥.

٣ ان اتجاه بعض النظم الدكتاتورية الى توريث السلطة لأبن الدكتاتور بعد وفاته مع اخذها بالنظام الجمهوري كما تدعي(مثلما حدث في كوريا الشمالية بعد وفاة الرئيس كيم ايل سونغ)لا يقلل من اهمية هذه الخاصية بالنسبة لهذه النظم.

٤ د.محسن خليل.مصدر سابق.ص١٤٦.